من ثمرات

المتابعة الدءوب للتراث العربى العريق

للأستاذ / الغزالي حرب

من أعظم ثمرات المتابعة الدءوب، للتراث العربي العريق، الثمرات الأربع الآتيات:

أ ــ ثمرة التصحيح لاسم القائل، بإزالة اللبس بينه وبين اسم آخر قريب منه في حروفه.

ب ــ وثمرة تصويب الخطأ الشائع بين الأدباء والمتأدبين: الأصلاء منهم والأدعياء.

جـ ــ وثمرة الإنصاف لصاحب القول المأثور بتصويب مافيه من خطأ مقصود أو غير مقصود.

د ــ وثمرة إثراء المعجمات اللغوية بكلمات وردت في هذا التراث، وإن لم ترد في تلك المعجمات اللغوية قديماً أو حديثاً، وهذه هي أهم الثمرات التي نجنيها من العكوف على المتابعة الدءوب لتراثنا العربي العريق، ومن هنا سنذكر لها أمثلة كثيرة وشواهد مختلفة، على حين أننا سنكتفي لكل ثمرة من الثمرات الثلاث الأولى بمثال أو شاهد واحد «وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»:

أما ثمرة التصحيح لاسم القائل الملتبس باسم آخر، فحسبنا من أمثلتها المثال الآتي:

بعض شراح الشواهد الأدبية، وبعض الأدباء القدامى، نسبوا البيتين الآتيين في وصف رجل مصلوب إلى الأخطل التغلبي، الشاعر الأموي المشهور وما هما كما حقق المتابعون للتراث الأدبي إلا للشاعر الأخيطل الأهوازى وهذان البيتان هما قوله:

كأنه عاشق قد مد صفحته ∴ يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته ∴ مواصل لتمطيه من الكسل(١)

ومن نسبها إلى الأخطل التغلبي: أبو العباس المبرد، وبعض شراح ونقاد الشواهد الأدبية، ولكن أبا الحسن الأخفش، حقق أن المبرد كان يدلس بنسبتهما إلى الأخطل، أي يوهم من يحدثه أنهما للأخطل التغلبي، لا للأخيطل الأهوازى، الذي هو القائل الحقيقي لهذين البيتين(٢).

وأما ثمرة التصويب للخطأ الشائع، فيكفينا من أمثلتها مثال الأبيات الجميلة الآتية في وصف روض أريض طليل:

وقانا لفحة الرَّمضاء واد ∴ سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحة فَحَنَا علينا ∴ حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا ـ على ظمأ ـ زلالا ∴ ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنَّ واجهتنا ∴ فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى ∴ فتلمس جانب العقد النظيم

وهذه الأبيات المشهورة، نسبها أدباء المغاربة، ومن تبعهم من أدباء المشارقة أو متأدبيهم قديماً وحديثاً، إلى الأديبة الشاعرة القديمة: حمدة أو حمدونة بنت زياد بن تقى العوفى التي لقبها بعضهم بخنساء المغرب، ومن القائلين بهذه النسبة: أبو جعفر الغرناطي المعروف بالرعيني، وتبعه في ذلك ياقوت(٣) الحموي في «معجم الأدباء» والمقرى في «نفح الطيب»(٤) وغيرهما قديماً(٥) وحديثاً معتمدين في نسبتها إلى «حمدونة الأندلسية» ـ كما قالوا ـ على ما فيها

من الخصائص أو الملامح النسوية، ولا سيما الرضاع والزينة والحنان.. ولكن المحققين من أدباء المشارقة نسبوا هذه الأبيات إلى أبي نصر أحمد بن يوسف المنازى الذي كان كاتباً وشاعراً ووزيراً لأحمد بن مروان الكردي صاحب «ميافارقين» و «دياربكر» وفيه يقول ابن خلكان ـ فيما يقول(٦)ـ : ان أبا نصر المنازى مر بوادي قرية «بزاعا» قريباً من حلب فراقه ما فيها من عيون مائية، ومناظر خلابة، ومساقط مائية رائعة، ففاضت قريحته بهذه الأبيات الجميلة في وصف هذه الطبيعة، ونحن نرجح نسبة هذه الأبيات إلى المنازي، غير عابئين باشتهار نسبتها إلى حمدونة الأندلسية لأن المنازى توفى سنة ٤٣٧هـ = ١٠٤٥م ـ وكانت هذه الأبيات تنسب إليه، قبل أن تنسب بعد ذلك إلى حمدونة الأندلسية التي توفيت سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م ويبدو أن مافيها من ملامح الأنوثة أو الأمومة هو الذي جعلهم ينسبونها إلى حمدونة، وما أشبههم في ذلك بمن ينسبون البيت الآتي لأبي العباس ابن الرومي في وصف بعض القيان والمغنيات إلى شاعرة أنثى، لا لشيء إلا لما فيه من ملامح الأنوثة:

وقيان كأنها أمهات ⁂ عاطفات على بنيها حوانى

جـ ـ وأما ثمرة الإنصاف لصاحب القول المأثور، بتصويب ما فيه من خطأ مقصود أو غير مقصود، فلها أمثلة وشواهد أخضعها النحاة ظلماً وعدواناً للقاعدة التي يريدون الاستشهاد لها وحسبنا المثال الآتي:

جميع النحاة أو معظمهم في أثناء شرحهم لبيتي ابن مالك في باب «تعدى الفعل ولزومه» وهما قوله:

وعد لازما بحرف جر ⁂ وان حذف فالنصب للمنجر
نقلا وفي «أن» و«أن» يطرد ⁂ مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

أقول: جميع النحاة أو معظمهم، ينسبون هنا إلى جرير بن عطية الشاعر الأموي المشهور بيتاً تجري به ألسنتنا كثيراً هكذا:

تمرون الديار ولم تعوجوا ⁂ كلامكُمُ عليَّ إذاً حرام

فكلمة «الديار» في هذا البيت، منصوبة على نزع الخافض ــ كما قالوا ــ غير أن العاكفين على متابعة التراث العربي، يروقهم أن بلالا حفيد جرير بن عطية يقسم قائلاً ــ كما في ترجمة جرير بالأغاني ــ : والله. !.. ما قال جدي هذا البيت هكذا ! فسألوه: وماذا قال جدك يابلال ؟ فقال بلال: إنما قال جدي جرير بن عطية:

أتنسى إذ تودعنا سليمى ⁂ بعود بشامة سقى البشام
متى كان الخيام بذى طلوح ⁂ سقيت الغيث أيتها الخيام
بنفسى من تودعه عزيز ⁂ عليَّ ومن زيارته لمام
ومن يمسى ويصبح لا أراه ⁂ ويطرقني إذا رقد النيام
مررتم بالديار ولم تعوجوا ⁂ كلامكم على إذا حرام

د ــ وأما ثمرة إثراء معجمات اللغة، بكلمات وردت في التراث العربي الأصيل وان لم ترد في تلك المعجمات، فما أكثر أمثلتها وشواهدها التي تدل ــ أول ما تدل ــ على أن تراثنا العربي هو الحجة على المعجمات اللغوية، وليست هذه المعجمات بالحجة عليه ــ كائنة ماكانت ــ وسبحان من أحاط بكل شيء علماً، ومن هذه الكلمات التي اهتديت إليها في ضوء متابعتي الدءوب للتراث العربي الحبيب ما يأتي:

١ ــ عديٍّ بن الرقاع العاملي، الشاعر الأموي، قال يمدح عبد الملك بن مروان، ويهجو مصعب بن الزبر من قصيدة له، اختلفت مراجع الأدب القديم في تعدادها، ولكنها لم تختلف في إيراد البيت الآتي في مدح عبد الملك بالبسالة والإقدام في الحرب:

تظل القنابل يكسونه ⁂ رواقا من النقع لم يطنب

ومعنى هذا البيت أن القنابل ــ وهي هنا طوائف الناس والخيل في الحرب كست الممدوح البطل المقدام ستراً من الغبار الساطع الذي لم يطنب (بالنون المخففة المفتوحة)، أي لم يشد بالطنب التي هي حبال الخباء، والمعروف في معجمات اللغة: «طنب الخباء» (بالنون المشددة المفتوحة) أي: شده بالحبال إلى الأرض، ولكن شاعرنا العاملي استعمل هذا الفعل ثلاثياً(٧) متعدياً مبنياً للمجهول.

٢ ـ بشامة بن الغدير الغطفاني، الشاعر الجاهلي، وخال زهير بن أبي سُلمى قال من قصيدة له يصف الإبل التي كانت تسير حاملة النساء في الهوادج ـ ويسمونهن حينذاك: الظعن أو الظعائن:

تذرى الحصى رثماً من تحت منسمها(٨) ∴ كما يرض سوادي القرى حجر

والمعنى أن هذه الظعائن، كانت تطرح وتثير الحصى متكسراً من تحت مناسمها، تكسر التمر العراقي الصغير تحت وطأة الحجر الذي يدقه دقاً ويصيره جريشاً وهكذا استعمل هذا الشاعر كلمة «رثم» (بالثاء المفتوحة) بمعنى الكسر والتحطيم، والمعروف أن معجمات اللغة لا تستعملها بهذا المعنى إلا بالثاء الساكنة.

٣ ـ وبشامة بن الغدير أيضاً في قصيدة له أخرى، فخر بقومه الأبطال الأشاوس الذين استجابوا للقائد العربي: لقيط بن زرارة في محاربة بني عامر بن صعصعة وبني عبس، على الرغم مما أصابه هو وقومه من جراح الهزيمة وآلامها قائلاً:

نحن الفوارس يوم الشعب ضاحية ∴ والضاربون على ماكان من ألم
والمعلمون وعظم الخيل لاقحه ∴ مبثوثة كعجيم ترعن جرم

يريد أن قومه كانوا أبطالاً معلمين في الحرب يجعل الواحد منهم لنفسه علامة في الحرب يعرف بها، ولم ينزلوا ميدان الوغى، إلا ومعظم الخيل منتشرة في أنحائه انتشار «العجيم» وهو نوى التمر المتطاير من البؤرة التي كانوا يدقون فيها النوى دقاً . . . وهكذا استعمل هذا الشاعر كلمة «العجيم» بهذا المعنى وهي كلمة لم ترد في معجمات اللغة، التي لم تذكر إلا كلمة «العجام» (بضم العين) وكلمة «العجم» (بفتح العين والجيم) بمعنى نوى التمر أو نوى كل شيء «أي كل ماكان في جوف مأكول كالزبيب وما أشبهه والواحدة عجمة يقال: «ليس لهذا الرمان عجم».

٤ ـ وبشامة بن الغدير كذلك، قال من هذه القصيدة نفسها، يصور الخيل المغيرة القوية، التي كان فرسان غيظ بن مرة يمتطونها ليغيروا بها على أعدائهم كالغبية أي السيل المنهمر، والمطر

المندفع الذي بَرَكَ فيهم وألحَّ عليهم:

مـالت عليهم لغيظ غبيـة بـركت ⁂ فيهم أحاديثهم في الناس كـالحلم

وهكذا استعمل هذا الشاعر كلمة «بركت» فعلاً ثلاثياً. . . على حين أن معجمات اللغة لم يرد فيها إلا الفعلان: «أبرك»، و«ابترك» الحساب أي اشتد نزول مطره ملحاً متدفقاً.

٥ ــ وشبيب بن البرصاء[٩] الشاعر الجاهلي أو المخضرم يقول في تصوير شدة الروع والفزع التي أصابت ابنة العذرى، فإذا هي «روعي» مفزعة بوادي القرى:

كـأن ابنة العـذرى يـوم بـدت لنـا ⁂ بـوادي القرى روعي الجنـان سليب

وهكذا وصف الأنثى المروعة التي اشتد فزعها بأنها: روعي ــ على وزن فعلى ــ مثل عطشان وعطشى. . . على حين أن معجمات اللغة لم يرد فيها إلا «الروعاء» و«الرائعة» وصفين للأنثى.

٦ ــ وأبو النجم العجلي الشاعر الأموي، قال من قصيدة له يعترف فيها بعجزه الجنسي أمام عبد الملك بن مروان، تحت وطأة الشيخوخة ويصف فيها نفسه بالندامة والسدامة، قائلاً:

ان النـدامـة والسـدامـة فـاعلمن ⁂ لـو قـد صـبرتـك للمـواسي خـاليـاً

على حين أن كتب اللغة ومعجماتها جمعت بين السدم والندم أو بين نادم وسادم، أو بين ندمان وسدمان. . . . .

أما الندامة والسدامة فلم يجمع بينهما إلا التراث العربي العريق ماثلاً في هذا البيت لأبى النجم العجلى، وهذا اتباع للتوكيد.

٧ ــ ورؤبة بن العجاج الرجاز المشهور قال يصف كتيبة حربية، لها خبراتها العسكرية، وتجاربها الحربية، وقوتها المهيبة المروعة:

إذا صبحـتـهـم فـيـلق رجـوس ⁂ مـلـمـومـة ذفـراء دردبـيـس

وهذا بيت وصف هذه الكتيبة بأنها «فيلق» جيش عظيم يغلق حد العدو وأنها «رجوس»: قوية الصوت مرعبة، وكأنها الرعد الرجاس، وأنها «ذفراء» منتنة الرائحة من جراء الصدأ المتراكم عليها للحديد الذي لبسته طويلاً في الحرب دون أن تخلعه، وأنها «دردبيس» أي جبارة في الانتقام من أعدائها. . وهذا الوصف الأخير لم يرد في معجمات اللغة بهذا المعنى، وإنما ورد بمعنى الشيخ الكبير أو العجوز أو الداهية أو الباقعة.

٨ ــ ورؤبة بن العجاج أيضاً استعمل في رجزه كلمة «ملطيس» بمعنى المعول الذي تكسر به الحجارة تكسيراً قائلاً من هذه القصيدة نفسها:

فصبحتهم برحا ملطيس ∴ فلا يحس منهم حسيس

وهذه كلمة لم أرها في أي معجم من معجمات اللغة التي تيسرت لي قراءتها مطلقاً: لا بهذا المعنى أو غيره.

٩ ــ ورؤبة بن العجاج كذلك أتى في هذه القصيدة أيضاً بصيغة مبالغة من القس: بمعنى تتبع الشيء واستقصائه، وهي صيغة «قسيس» قائلاً:

قد علم العالم والقسيس ∴ أن أمرأ حاربكم ممسوس

ومعجمات اللغة لم تأت بهذه الكلمة صيغة مبالغة بهذا المعنى.

١٠ ــ وأبو الحارث غيلان بن عقبة الشاعر المشهور بذي الرمة، كان يهوى «مية» هوى ملك عليه فؤاده ومشاعره، فلما تزوج منها ابن عمتها «عاصم» قال ذو الرمة[١١] يتمنى على الموت أن يهلك عاصماً فتعود إليه «مية» الحبيبة دون أن تفرق المنية بينها وبينه:

ألا ليت شعري هل يموتن عاصم ∴ ولم تشتعبني للمنايا شعوبها

وهكذا استعمل هذا الشاعر الفعل «تشتعب» بمعنى تفرق على حين أن معجمات اللغة استعملت هذا الفعل ثلاثياً فقالت: «شعب» بمعنى فرق، ومن ذلك سميت المنية «شعوباً»، لأنها تشعب الناس وتفرقهم هنا وهناك، وتنتزع الإنسان من بين أهله وأصحابه وقالت أيضاً:

شعب الشيء بمعنى جمعه كما استعملته رباعياً بصيغة «أشعب» الرجل أي مات أو صيغة «شاعبت نفسه» أي مات أو صيغة شعب عنه أي فارقه إلى الأبد. . . واستعملته كذلك خماسياً بصيغة «تشعب» القوم: أي تفرقوا وبصيغة «انشعب» الرجل أي مات وانشعب الشيء انصلح أما كلمة «اشتعب» الخماسي المتعدي فلم ترد إلا في التراث العربي من طراز قول ذي الرمة هذا.

١١ ــ والشاعر الأموي: عمر بن لجأ، استعمل كلمة «استبعث» بمعنى أثار وهيج قائلاً من هجائه لجرير بن عطية بعد أن هجاه جرير(١٢) مايكفينا منه البيتان الآتيان: ــ

أنبئت كلب كليب قد عوى جزعاً ⁂ وكل عاو بفيه الترب والحجر
هبت الفرزدق واستبعثتني عبثا ⁂ للموت تعمد والموت الذي تذر

ومعجمات اللغة لم تستعمل هذا الفعل بهذه الصيغة في هذا المعنى وإنما استعملت الصيغ الآتية للفعل «بعث» بعثه، وبعثه على الشيء، وتبعَّث الشيء، بمعنى اندفع. وتباعثوا على الشيء بمعنى: حمل بعضهم بعضاً على صنعه، وفي (الأساس) للزمخشري: «تواصوا بالخير وتباعثوا عليه «وانبعث مطاوع بعث، وابتعثه أي بعثه وفي الحديث الشريف: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني» أي أيقظاني من نومي. .

١٢ ــ وهذا الشاعر الأموي عمر بن لجأ أيضاً استعمل الفعل «التثم» بمعنى قبل أشد التقبيل حتى يمتزج الريقان قائلاً:

مذاقتها إذا ما بينتها ⁂ سواد الزوج والتثم الرضابا

ومعجمات اللغة لم تستعمل «التثم» بهذا المعنى وإنما استعملت «التثمت» المرأة «وتلثمت المرأة» فعلين لازمين بمعنى: شدت اللثام على فمها. . . كما استعملت «لثم فم المرأة: أي قبلها، ولاثمها: أي قبلها فما لفم.

١٣ ــ وأبو زيد الطائي الشاعر النصراني الذي كان معاصراً ومجالساً للخليفة الراشد:

عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ استعمل كلمة «صد» بمعنى قصد وتصدى وتعرض قائلاً من قصيدته السينية الرائعة التي وصف فيها الأسد:

بنصل السيف ليس له مجن ∴ فصد ولم يصادفه حبيس(١٣)

ومعجمات اللغة تقول: صد عنه: أعرض ومال، أو دفع عنه، وصد السبيل: أي اعترض دونه، وصد الرجل صديداً، أي ضج، وتصدى له: أي تعرض. . . .

١٤ ــ والأقيشر التميمي سأله خالد بن عبدالله القسري(١٤) قائلاً:

أي الناس أسرع بديها؟ وهذه الكلمة بمعنى البديهة: أي المفاجأة، وردت في قول أبي الطيب المتنبي أيضاً:

أتنكر مانطقت به بديها ∴ وليس بمنكر سبق الجواد؟

ومعجمات اللغة لم ترد فيها كلمة «بديه» كما وردت كلمتا: بداهة وبديهة.

١٥ ــ وجميل بن معمر استعمل الفعل «جحف» الثلاثي بمعنى أجحف به أي ذهب به كما استعمل «تعيف» بمعنى «عاف» قائلاً:(١٥)

وكنا إذا مامعشر جحفوابنا ∴ ومرت جوارى خيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة ⁂ وسوف نوفيها إذا الناس طففوا

ومعجمات اللغة لم يرد فيها الفعل الثلاثي «جحف» بمعنى «أجحف» ولا الفعل الثلاثي «عاف» بمعنى «تعيف» وإن ورد فيها المتعيف: بمعنى المتكهن، والذي يعمل العيافة، وهي زجر الطير.

١٦ ــ والشاعر نصيب مولى عبد العزيز بن مروان وردت في شعره كلمة «اجتنى ذنباً» بمعنى «جنى ذنباً» وكلمة «اجترم ذنباً» بمعنى «أجرم ذنباً»(١٦) ــ كما في قوله:

فما ذاك من ذنب أكون اجتنيته ∴ إليها فتجزيني به حيث أعلم

ورواية الأغاني تقول:

فما ذاك من ذنب أكون اجترمته ⁂ إليها فتجزيني به حيث أعلم

ومعجمات اللغة لا تقول: اجتنى بهذا المعنى، وإنما تقول: اجتنى الثمرة: أي تناولها من شجرتها، وتقول: اجترم زيد: بمعنى أذنب، ولكنها لاتقول اجترم ذنباً وإن قالت: اجترم فلان النخل أي جزه.. واجترم لأهله: كسب لهم..

١٧ ـ والمتوكل الليثي الشاعر الكوفي الذي كان معاصراً لمعاوية بن أبي سفيان استعمل كلمة «قؤوم» بمعنى قَيِّم، أو مستقيم قائلاً:(١٧)

وأقم لمن صافيت وجهاً واحداً ⁂ وخليقة إن الكريم قؤوم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله ⁂ عار عليك إذا فعلت عظيم

ومعجمات اللغة لم ترد فيها هذه الكلمة بهذا المعنى...

١٨ ـ والشاعر الأموي: الحكم بن معمر الخضري، قرأنا له في وصف امرأة فاتنة بيتاً يقول:

تساهم ثوباها ففي الدرع غادة ⁂ وفي المرط لفا وان ردفهما عبل

ومعجمات اللغة العربية تقول: إن كلمة «ساهم» لامعنى لها إلا المقارعة ـ كما في الآية القرآنية الكريمة: «فساهم فكان من المدحضين» فهي لا تفيد معنى المشاركة الذي تعبر عنه كلمة «أسهم» لاكلمة «ساهم» وبناء على ذلك لا تصح عبارة «شركة مساهمة» كما صحت عبارة «شركة مسهمة» ومن هنا اعتبر المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع اللغوي بمصر عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م كلمة «شركة المساهمة» كلمة محدثة لاكلمة عربية أصيلة، والكلمة المحدثة ـ كما عرفها هذا المعجم الوسيط في الجزء الأول: اللفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامة.

١٩ ـ وقال الشاعر الأموي زياد الأعجم ـ كما في طبقات الشعراء لابن سلام وغيره ـ في الهجاء :

نبأتني أن عبدالله منتزع ⁂ منى عطاياه لكاع ابن لكاع

ومعجمات اللغة لم تستعمل هذه الصيغة (بضم اللام وفتح الكاف المشددة) وإنما استعملت: الألكع واللكاع (بفتح اللام وفتح الكاف المخففة، كما استعملت «لكع» على **وزن** «عمر».

٢٠ ـ ويزيد بن الطثرية كان محباً لامرأة، ومعجباً بها، فساءه أنه كان هنالك من يشاركه في حبها والإعجاب بها، فقال لها من قصيد له ـ وقد انقطع عنها(١٨):

وكوني على الواشين لداء شغبة ⁂ كما أنا للواشي ألد شغوب

ومعجمات اللغة لم تستعمل وصفاً للمؤنث «شغبة» بسكون الغين، ولا وصفاً للمذكر «شغوب» بصيغة «المبالغة كما استعملها هذا الشاعر الذي يعتز به تراثنا العربي.

٢١ ـ وأبو داود الرؤاسي أورد في شعره كلمة «تشلال» بمعنى الشل وهو الطرد ـ قائلاً :

جعلنا حجرنا حجراً عليهم ⁂ فحلوا بعد تشلال وسير

ويروي هذا البيت هكذا :

حوينا حجرنا لهم فحلوا ⁂ إلينا بعد تظعان وسير

وعلى الرواية الأولى نرى كلمة «تشلال» التي لم ترد في معجمات اللغة وإنما الذي ورد فيها هنا: شل السائق إبله: «شلا»: أي طردها.

٢٢ ـ وأبو داود الرؤاسي أيضاً أورد في شعره جمعاً للخيال على أخيال قائلاً:

فإن ذهب العمى وأمنتموهم ⁂ فلا تستبدلوا أخيال طير

والخيال هنا: خشبة توضع ويلقى عليها الثياب للغنم أو في وسط المزارع، تخويفاً للذئب أو الطير حتى يظنه إنساناً، ويسمونه عندنا في مصر «خيال المآته» ومعجمات اللغة لم يرد فيها جمع لخيال إلا على أخيله وخيلان..

٢٣ ـ وأبو داود الرؤاسي كذلك جمع كلمة «شرج» ـ وهي مجرى الماء من الحَرَّة إلى السهل ـ على «أشرج» مثل «فلس وأفلس» «وضرب وأضرب» وهذا جمع لم يرد في معجمات اللغة التي أوردت جمع هذه الكلمة على: أشراج وشراج، وشروج أما «أشرج» فقد وردت في شعر للرؤاسي هذا قائلاً في معرض الحديث عن الإقامة في موضع اسمه «فجيرة» وماء لبني قشير اسمه «المرير»[١٩].

تظل بأجزاع المرير مربة ∴ وسال عليها من فجيرة أشرج

٢٤ ـ ومحمد بن سلام (١٣٩ ـ ٢٣١هـ) في مطلع كتابه: «طبقات الشعراء» يقول ما نصه: «فكان من الشعراء من تَأَلَّه في جاهليته، ويتعفف في شعره ولا يستبهر بالفواحش» أي يتبجح بذكرها، وكشف ما حقه أن يكتم.» ولكة استبهر بهذا المعنى لم ترد في معجمات اللغة، وإنما وردت بمعان أخر مثل: استبهر الليل: تراكمت ظلماته.

٢٥ ـ والأشهب بن رميلة الشاعر الأموي، وردت في شعره كلمة الاستعراض بمعنى الإقدام على قطع عرض الصحارى، دون ما مبالاة بما هنالك من أهوال، ولنستمع له وهو يحدثنا: كيف صعد إلى ناقة ضامرة صلبة مدربة على السير، وكأنها حرف جبل، وان أضربها وبنيها (شحمها) السير في الصحاري ليلاً:

نميت إلى حرف أضر بنيها ∴ سرى البيد واستعراضها البلد القفرا

ومعجمات اللغة لم تستعمل الاستعراض بهذا المعنى، وإنما استعملته في معان أخرى لاداعي لتفصيلها هنا.

٢٦ ــ والأشهب بن رميلة أيضاً أورد كلمة «تخلل» قائلاً:

ألم يأته أنى تخلل ناقتي ∴ بنعمان أطراف الأراك القوائم

ويريد أن ناقته رعت الخلة ــ وهو خبز الإبل ــ ولم تورد المعجمات للتعبير عن هذا المعنى إلا: خل الرجل إبله: حولها إلى الخلّة، وخل الفصيل: شق لسانه فأدخل فيه الخلال لئلا يرتضع ويقدر على المص... وأخل القوم إخلالاً: رعت إبلهم الخلة، واختلت الإبل: احتبست في الخلة.

٢٧ ــ والكميت بن زيد الشاعر حبسه خالد بن عبدالله القسرى لأنه قال بيته الذي تعنينا منه كلمة «التمداح» بمعنى المدح وهو:

فانى وتمداحى يزيد وخالدا ∴ ضلالا لكا الحادي وليس له إبل

ومعجمات اللغة لم تورد هذه الكلمة: «التمداح» بمعنى المدح.

٢٨ ــ والفرزدق قال من مدحه سليمان بن عبد الملك:

وكم أطلقت كفاك من قيد بائس ∴ ومن عقدة ماكان يرجى انحلالها
كثيراً من الأيدي التي قد تكتعت ∴ وفككت أعناقاً عليها غلالها

وهكذا جمع الشاعر الأموي كلمة «غل» بمعنى الجامعة التي توضع في العنق واليد مثل القيد على «غلال» مثل خف وخفاف، ومعجمات اللغة لم تجمع هذه الكلمة إلا على «أغلال» و«غلول» ومن الممكن أن نضيف إلى هذين الجمعين الجمع الثالث المذكور آنفاً في شعر الفرزدق، وأن ننتفع قدر المستطاع بتراثنا العربي العريق في إثراء معجماتنا اللغوية، التي لم تستطع ــ على جلالة قدرها ــ أن تحيط بلغتنا الفصحى علماً.... ورحم الله شاعر النيل حافظ ابراهيم إذا يقول بلسانه متسائلاً:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ∴ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

الهوامش:

(١) رغبة الأمل شرح الكامل للمبردج ٦ص ١٧٢.
(٢) معاهد التنصيص ج ١: ١٥٠، ومعجم الشعراء ص ٣٧٦، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٢٢.
(٣) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٧٤.
(٤) نفح الطيب ج ٢ ص ٤٩١، ٤٩٢.
(٥) شاعرات العرب ص ٢١٤، والأدب المقارن لعبد الرزاق حميدة ص ٢٠، ٢١، والأعلام ج ١ ص ٨٦، ١٧١.
(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣١٢، والوافي بالوفيات ج ٤ قسم ٣ ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٦٢.
(٧) الأغاني: ساسى ١٧: ١٦٥، ومروج الذهب: ٣: ٥٢ وأنساب الأشراف: ٥: ٣٤٢، ١١: ٩.
(٨) الحماسة لابن الشجري ص ٢٠٦.
(٩) المفضليات: ٣٣٦، والأغاني: ١٢: ٢٧١، «والبرصان» للجاحظ ص ٩٦.
(١٠) ديوان رؤبة: ٧٤.
(١١) ديوان ذي الرمة: ٦٧.
(١٢) النقائض: ٤٨٩.
(١٣) شعر أبي زبيد: ٩٤ ــ ٩٩.
(١٤) طبقات الشعرا
لابن سلام، وديوان المتنبي.
(١٥) ديوان جميل بن معمر: ١٣١ ـ ١٣٩.
(١٦) الأغاني: ١٥ : ١٧٢، وديوان نصيب ص ١٣٢.
(١٧) ديوان المتوكل الليثي: ٧٤ ـ ١٠٩.
(١٨) الأغاني: ٢ : ١٧٥ ــ ١٧٦.
(١٩) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١١٦.
(٢٠) طبقات الشعراء لابن سلام، والأغاني ج ١ ص ١١٨.